# صورة جسد المرأة بين الإسلام وجدل العولمة

**د/ سماش نادية المركز الوطني للبحث في الانثروبولوجياالاجتماعية والثقافية الـ CRASC**

**مقدمة:**

لقد كرم الإسلام المرأة ورفع من شأنها، وقضى على جميع صور الإهانة التي تتعرض لها في العصور السابقة، وفي عصرنا هذا راجت دعاوى تحرير المرأة برفعها شعار الحرية والمساواة مع الرجل، لا شك أن عولمة المرأة ترتكز على فقدان وانهيار إنسانية المرأة وذاتيتها بشكل تدريجي وغير واضح، خلافا لما تدعو إليه هذه العولمة التي تعتمد على إعادة صياغة المرأة ذاتها، وخلق كيان للمرأة لا يقوم على أساس أنها إنسانة، وإنما على أساس الربح والمادة وبأساليب وذرائع جديدة ابتداءا من السينما والأزياء ومستحضرات التجميل، مرورا بالمؤتمرات العالمية والعلمية كإحدى وسائل الدعاية والتأثير و انتهاء بمسابقة ملكات الجمال والإعلانات وتجارة النساء.

فالعولمة البعيدة عن مبادئ الإسلام تعتمد على تحويل حضارة المرأة وثقافتها من حضارة تكامل وتجديد وإبداع إلى حضارة جسد، ومن حضارة ثقافية ووعي وإدراك إلى حضارة المفاتن واللحم الرخيص، ذاك هو الإشكال المطروح الذي سنحاول الإجابة عليه؟

هل المرأة العربية واعية كل الوعي باستعمال جسدها في الحصول على ما تحلم؟ أم أنها أصبحت تتبع بما يسمى الموضة؟

للإجابة على الإشكال حاولنا طرح بعض الإجابات المؤقتة كفرضيات على النحو الآتي:

1- تستعمل المرأة العربية جسدها للحصول على فرصة عمل في حين أصبحت الكفاءة العلمية لا تكفي.

2- هوس المرأة باتباع الموضة يدفعها إلى التغيير في جسدها.

تم اجراء هذه الدراسة في مدينة وهران (الجزائر) بحكم أن هذه الأخيرة تعتبر الولاية الثانية بعد العاصمة في جميع الميادين وأيضا نظرا لكونها الولاية الأكثر استقبالا للسياح من داخل الوطن وخارجه ، الأمر الذي فرض نوع من القيم الجديدة في استعمال الجسد عند المرأة والرجل على حد السواء، وقد تم اجراء مقابلات مع عينة تتكون من 40 إمرأة شابة يبلغ سنها ما بين الـ 20 و30 سنة.

***<u>تسويق جسد المرأة في عولمة الاتصال:</u>***

ربما لم تواجه المرأة المسلمة امتحانا صعبا في دينها وتنشئتها الاجتماعية منذ أربعة عشر قرنا من التاريخ الإسلامي، مثلما تواجهه الآن في تحديات الأقمار الصناعية والإنترنت وما تحمله في بعض برامجها من ثقافة جديدة على العالم كله، تتحدى في مضمونها أخلاقيات الأديان عامة والإسلام بوجه

خاص، وتحاول مستترة وراء حرية الكلمة والصورة إلى تحطيم المجتمعات وتنشئة الشباب والفتيات تنشئة اجتماعية تساعد على الانحلال والتسيب من خلال استعمال الجسد كورقة رابحة لعرض منتجات العولمة الفكرية والمادية، قد يؤدي هذا المخطط في حالة نجاحه إلى زوال واندثار الهوية الثقافية والاجتماعية للمجتمع الإسلامي.

ولأن المرأة هي أساس تكوين الأسرة التي تعتبر أساس المجتمع، كان من المفروض ومن الواجب السهر على تربيتها تربية إسلامية سليمة، مما يفرض ضرورة تحرك أجهزة التنشئة الاجتماعية على مستوى الأسرة والمجتمع للحفاظ على الموروث الثقافي والمضمون القيمي اللذين يشكلان خصوصيتنا وهويتنا المنبعثة من ديننا وتقاليدنا الراسخة.

من ثم فإن الإسلام لم يغفل عن أي كبيرة أو صغيرة تخص المرأة، لأنه نزل بالحرية المطلقة لجميع البشر فكان حماية للضعيف ونصرا للمظلوم ومساواة للعبيد، وحرر المرأة وكرمها وساوى بينها وبين الرجل واعترف بها كمحور للأمة.

أما ما أصبحنا نعيش فيه الآن فهو من منطلق العادات والتقاليد التي لم يعترف بها الإسلام، حيث أصبحت أجيالنا ضائعة بين الماضي والحاضر، وأصبح من الضروري الإهتمام بالمرأة وتعريفها بأهمية الاستعمال الأمثل لجسدها الذي إن صلح في نظرنا من ناحية التهذيب والأخلاق صلح الشارع والمجتمع ككل ، بمعنى أن المرأة لها دور أساسي في تربية الأجيال انطلاقا من حشمتها المتمثلة في صون كرامتها عن طريق تقييد هذا الجسد الذي يرمز للعفة وعدم تركه فريسة لذئاب العولمة الهدامة؛ لكن ما يلفت الانتباه أن المرأة الوهرانية (بدون تعميم) أصبحت توقن كيفية استعمال جسدها سواء للحصول على منصب عمل أو لاتباع موضة، حيث صرحت معظم المبحوثات أنهن يعملن على تحسين مظهرهن بشكل مستمر بتنسيق ألوان الألبسة (لباس، حذاء، ماكياج)، حيث يقلن في مَثل "بدل اللوك يحبوك" بمعنى يجب إحداث تغيير على مستوى الجسد والهندام حتي يلقين تقبل أو قبول من الآخر ، تصرح إحدى المبحوثات (25 سنة، ليسانس علم الاجتماع) "أصبحنا يا أختي نعيش في عالم الصورة وإن لم تكن هذه الأخيرة جميلة فلن تحصل الفتاة على منصب عمل أو عريس فقد أصبحنا نستعمل جسدنا للحصول على ما نريد خاصة وأن بعض التخصصات الجامعية لا تتماشى مع سوق العمل فلا نكذب على أنفسنا أصبحت الغاية تبرر الوسيلة"

من خلال هذا نلاحظ ثقافة الحصول على منصب عمل بالنسبة للمرأة أو حتى على زوج أدت بالمرأة إلى استعمال جسدها من خلال اللباس غير المحتشم أو اللباس الضيق بالنسبة للمتحجبات ؛ لهذا نلاحظ أنه لا يمكن لعاقل أن يرى ما تعرضه شبكات الاتصال والإعلام من إعلانات محورها جسد المرأة وإظهار مفاتنه ويصدق بأن نية المنتج تسويق إنتاجه، لكن الأمر كله يكمن في استباحة هذا الجسد قصد إثارة الشهوات لدى المتفرج وبالتالي تحطيم الأسر خاصة الأسر العربية المسلمة التي تعتبر مثل هذه الأمور دخيلة على ثقافتها وأعرافها.

الواقع أن مستقبل الأجيال الناشئة محفوف بالمكاره، ربما يتحول أطفال اليوم إلى وحوش غدا عندما تحيط بهم وسائل الإغراء المتجددة بالليل والنهار، ألا نخشى عند رؤية تلك الأجساد الشبه عارية التي تمشي في الشوارع العربية الإسلامية من تحضير لانفجار قنبلة جنسية داخل هذه المجتمعات، يقول في هذا الصدد جورج بالوشي هوفرت" في كتابه "الثورة الجنسية" "الآن بعد أن كادت مخاوفنا تهدأ من الخطر الذري، وتصريح لتصالح بين القوى العظمى، ألا توجد حوافز بشرية تحس بالقلق البالغ الأهمية التي يكتسبها الجنس في حياتنا اليومية"(محمد الغزالي، ص 45).

في الواقع يستحيل اليوم السير في أي مدينة كبيرة دون أن يلاحظ المار إعلانات من كل حجم، مجلات وأغلفة مصورة، أفلام سنيمائية تحمل في طياتها صور لامرأة، كما يلاحظ نساء وفتيات يرتدين ثيابا كان يمكن أن توصف بقلة الحشمة منذ عهد قريب، فأين يكمن دور المرأة المسلمة في حماية نفسها وجسدها من تلك العولمة المنادية بخرق حقوقها بشكل غير مباشر مدعية في ذلك أنها ستحقق لها المكانة الاجتماعية والاقتصادية وتجعلها ندا للرجل بالدعوة إلى مساواتها بالرجل؟

ما يلفت الانتباه أن العولمة مارست قوة تأثير كبيرة على عوالم الحياة والعمل بالنسبة إلى النساء، وأن اتجاهات التصنيع وزحف الثورة الرقمية ومتطلبات العيش كثيرا ما كانت متعارضة مع آمال المرأة وتطلعاتها، "فالعولمة بالنسبة للنساء في كل أنحاء العالم ليست عملية تجريدية على مسرح مرتفع، إنها حاضرة وملموسة"(كريستيا فيشتريش ،2002،ص6).

حيث تلخص الكاتبة الألمانية كريستيا فيشتريش مأساة المرأة في زمن العولمة كما يلي:

1- زيادة التشغيل الهش ضمن علاقات إنتاج منخفضة الأجر وتحولها إلى أداة للخدمة في جميع أنحاء العالم.

2- معايشة عالم استهلاك مفرط وعدم القدرة على تلبية الحاجيات.

3-تنامي الواجبات الاجتماعية والبحث عن هوية جديدة ضمن إطار اجتماعي تزداد فيه الفوارق.

4- التعرض إلى أشكال العنف المرتبط بالجنس وتزايد المنافسة والطلب عليهن من طرف الشركات.

5- استعمال جسد المرأة وصورتها في الدعاية والإشهار في ترويج وتسويق المنتجات الرأسمالية.

6- تشغيل المرأة يتم بشكل نمطي وفي أوقات الحاجة وحسب المزاج وتحرم من إجازات الحمل والولادة والأمومة.

إن العولمة تقذف بالمرأة إلى الخارج وبسرعة دون ضمانات وبلا رحمة ولا شفقة المهم هو الاستفادة منها وتوظيفها في جعل الاقتصاد يزدهر، والاستمتاع بجسدها ومحاسنها في أروقة عروض الأزياء بدل الاكتفاء بدورها الفعال في المحافظة على قيمتها ضمن ملامحها التربوية.

فالمرأة المعولمة التي صاغت جسدها لخدمة هذه الأخيرة تبحث عن هوية جديدة لها ضمن مجتمع رجولي أشد ضراوة وقسوة وانتهاكا لحقوقها كأنثى أكثر من قبل ، فأصبحت تستخدم كاحتياطي بالنسبة لمنطق رأس المال أين تتجاذبها آليات الانتاج والاستعراض والترويج والاستهلاك، فأصبحت تعاني من

الحط من كرامتها وذلك عن طريق استخدامها في تسهيل حركة رأس المال وجعله خفيفا أكثر من ذي قبل، لأن قوة الانتاج تغيرت وأصبحت تعتمد على نساء شابات مرنات، نشيطات، مطيعات وصبورات.

لقد وقع تفقير المرأة من كل مبادئها وأخلاقياتها فأصبحت تستعمل جسدها كوسيلة للحصول على عمل في بعض الأحيان ذاك ما أكدته لنا تصريات معظم المبحوثات اللواتي وجدن صعوبة في الحصول على عمل الأمر الذي دفع بهن إلأى تغير طريقة لبسهن حيث صرحت مبحوثة (30 سنة، 3 ثانوي( قائلة " بعد طلاقي أصبحت بحاجة ماسة إلى عمل خاصة وأنني أصبحت مسؤولة على طفلين طرقت ابواب كثيرة لكن قوبلت بالرفض إلى حين قمت بتغير ملابسي وجعلتها أكثر جراءة رغما عني وعند ذهابي مرة أخرى عند نفس الأشخاص قوبلت بالترحيب وانا الآن أصبحت أنصح البنات بهذا الأمر مثلما يقولون كن أو لا تكن" ، الأمر الذي يؤكد فكرة وهي استفادة المجتمع من قوة عمل المرأة لكن الرابح الأكبر هم أولئك من يدعون إلى تحرير المرأة بالمتاجرة بآلامها متناسين في ذلك أنها ركن أساسي لبناء مجتمع سوي، وبهذا هم يسعون إلى تحطيم هذا الكائن(المجتمع).

فما تطلبه العولمة من المرأة هو فقط أن تكون رخيصة ونشطة ومرنة، لكي تحصل على مركز عمل في قطاع الخدمات، ولكن الغرض الحقيقي هو كسب النساء ككتلة في عالم الشغل تستعملها متى شاءت وتسطو على مكانتها بتحويلها السريع نحو عالم الإنتاج والتبادل والاستهلاك، فالعولمة إذن هي "مفهوم نظري يعبر عن توجه ايديولوجي يعكس إدارة مركزية للاستقطاب والهيمنة على العالم من خلال الدعوة إلى تبني نموذج حضاري محدد، وإرساء دعامات هذا النموذج وتكريسه باستخدام آليات السياسة والاقتصاد والثقافة والاتصال، ومن ثم كان مفهوم العولمة تجريدا نظريا يشير إلى عملية تغيير دراماتيكي كبرى تحفر مجراها في مسار التاريخ الإنساني الراهن وتؤثر بعمق بالغ في كل المجتمعات المعاصرة، المتقدمة والنامية على حد السواء"(مروة شاكر الشربيني،2005، ص112).

إذن فقضية المرأة أصبحت من أهم المجالات التي يظهر على صعيدها احتلال الخارجي للداخلي، وعلى نحو محمل بقيم وثقافة النموذج الغربي، على اعتبار أن المرأة مجال ومدخل أساسي للتغير المجتمعي والقيمي والثقافي والحضاري، الذي يعمل الغرب باسم العولمة على تحقيقه في المجتمعات العربية الإسلامية بهدف تحقيق الاستعمار المطلق لمبادئ واخلاقيات هذه المجتمعات فكان لزاما منه (الغرب) تغيير خططه الإستعمارية عن طريق تعرية المرأة العربية المسلمة من عفتها وأخلاقها.

كنت جالسة أمام التلفاز لمشاهدة برنامج ديني على قناة اقرأ فكانت مداخلة الشيخ محمود المصري (داعية إسلامي مصري) حول الحجاب حيث روى قصة حقيقية حدثت في إحدى المطارات الغربية أين استهزأت إمرأة غربية من إمرأة مسلمة منتقبة، فكانت ردة فعل هذه الأخيرة حظرية أين قامت بنزع غلاف حبة شوكولاتة ورمتها على الأرض ثم عادت لتلتقطها ثم قدمتها لهذه الغربية فرفضت أخذها ثم قدمت لها أخرى مغلفة فأخذتها هنا كان جواب هذه المرأة المسلمة لاستهزاء الأولى منها بتشبيهها المرأة غير

المتحجبة بحبة الشوكولاتة التي نزعت غلافها وقالت هكذا هي المرأة تعجب من يراها ولكن لا يلتقطها أحد، هذا مثال بسيط فكيف لنا السير وراء من جرد الانسانية من لباسها وجعل كوارثها في نسائها.

بعبارة أخرى في عصر العولمة لم تعد قضية المرأة العربية المسلمة قضية داخلية فقط، أو قضية مجتمعية وثقافية ضيقة، كما لم تعد قضية النخب العلمانية تهم الحكومات التقدمية فقط، بل استدعت الدين والقيم والخصوصيات في ظل نظام عالمي يعتقد أنصار العولمة أنه يتجه نحو التوحيد والتجانس في ظل ثقافة عالمية، "فعلى العكس كان الجدال بين الاتجاهات ذات المرجعية المختلفة (الديني أم المدني) حول قضية المرأة من أهم التعبيرات عل مصداقية هذا الاعتقاد ، ومن ثم يقع هذا الجدال في قلب تيار الجدال حول الأبعاد الثقافية للعولمة وآثارها على النظام العالمي، نحو مزيد من التجانس أو التنوع"(مايك فيزرستون، محدثات العولمة،1999).

لذا لا عجب أن قفزت قضية المرأة لتحتل موقعا من مواقع الصدارة فيما يعرف الآن بحوار الحضارات والثقافات وجعلها حوار الساعة وإتهام الإسلام بأنه مجحف في حق المرأة، أولئك الذين يرون بتحريرها من قيمها ومبادئها متهمين عقيدتها بتقيدها ووضعها رهينة لضغوط وعنف الرجال، فيعتقد البعض أن القول بالمساواة بين الجنسين يؤدي إلى الإخلال بقواعد الإيمان، وأن الانتماء إلى الإسلام على أي جهة كانت لا يؤدي بالضرورة إلى تبني خيار المساواة وينطلق أصحاب هذا الرأي من تصور خاطئ عن نظرة الأديان للمرأة ويعتمدون في ذلك على تصورات تقليدية من الإسلام تقلل من دور الأنثى، وهذا يعتبر جهل، لأن التعامل مع الإسلام والنظر إليه بعقلانية يؤدي إلى نتيجة معاكسة ويفضي إلى القول بأن مكانة المرأة ودورها مرموقين في الحضارة العربية الإسلامية، وليس كما يدعي أصحاب العولمة الخاطئة التي جعلت من جسم المرأة رمزا للتحضر والتمدن(سامية حسن الساعاتي المرأة والمجتمع المعاصر،2007)، وجعلت النساء يحتقرن بعضهن البعض قبل الرجال بتقسيم المفهومين المديني والريفي الجاهل، فالمرأة التي تحتشم وتعمل بتعاليم الدين أصبحت جاهلة غير متعلمة بينما من تدعي بأنها مثقفة تنادي بالتحرر الذي يشمل عقيدتها وهندامها ويمس خصوصيتها الأنثوية بمس جسدها وجعله عرضة لتلك الإعلانات التجارية المغرضة، مثلا إذا أراد شخص ما تحقيق صفقة رابحة إلا وجلب إمرأة فاتنة تمتاز بقوام جيد وجميل ، الأمر الذي يضفي جوا من الرومانسية على هذا اللقاء وبالتالي سهولة توقيع الصفقة.

تلك هي الأمور التي تدعي العولمة أنها قد خلصت المرأة بها من القيود الاجتماعية والأعراف والتقاليد، محاولة بذلك محاربة الإسلام وجعله من منظورها بأنه يمثل إرهابا ثقافيا وعرفيا وأنه اضطهاد يمارس على المرأة.

***<u>صورة جسد المرأة في الإسلام:</u>***

إن التمسك بالدين مهم جدا ليس على المستوى النظري فحسب بل على المستوى العملي، فالدين من منظور علماء النفس يولد الطاقة لدى الإنسان ويساهم في تنظيم حياته ورغباته وسلوكه وتوجيهها نحو

الهدف، والبعد عن الدين والقرب منه هو بمثابة منبه لحالة التعارض التي نعيشها بين الحقائق التي نؤمن بها، وبين الأنظمة التعليمة والتربوية والاقتصادية التي تعشعش بيننا، وتملأ عقولنا وتفصمنا عن واقعنا ومبادئنا.

المرأة في الإسلام موضع تقدير واحترام يصل إلى حد تمتعها بحق الدلال وإظهار الحسن والجمال، ولكنها في الآن نفسه تقف جنبا إلى جنب مع الرجل في طلب العلم وفي ممارسة العمل أيام الحرب والدفاع عن الوطن وايام السلم وتنمية المجتمع كما تقف جنبا إلى جنب معه في السراء والضراء.

لذلك الإسلام جاء عفة للمرأة وسموا لمكانتها فميزها عن باقي نساء العالم من خلال وضع خطوط وقواعد تمشي عليها الإنسانية بأكملها، فالجسد يعتبر مرآة عاكسة لروح الإنسان باختلاف جنسه، فإن حسنت الروح حسن الجسد ، نجد مقولة شهيرة راجت في الشارع العربي الجزائري تقول "الدين في القلب"، أما قضية سترة الجسد هي قضية ثانوية لا تمت بصلة لتلك الممارسات والسلوكات والطقوس الدينية، فقد تم الاسترسال في هذا الموضوع حتى رحنا نشاهد ما قال عنه الرسول صلى الله عليه وسلم "كاسيات عاريات" في الشوارع والطرقات وكأن موضة العري أصبحت تمثل الانفتاح والتطور.

فالمرأة في نظر الإسلام تلعب دورا كبيرا في بناء الأسرة والمجتمع وفي عملية التنمية وتحقيق النهضة الحضارية الشاملة المنطلقة من التصور الإسلامي للكون والإنسان والحياة، فهي مستخلفة في الأرض تماما مثل الرجل ومكلفة بإصلاح المجتمع لا بهدمه بسلوكات طائشة وسلبية، كما تتحمل المسؤولية وأداء الغاية التي خلقت من أجلها، كل في مكانه وفي مجاله لقوله تعالى "**والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويطيعون الله ورسوله أولئك سيرحمهم الله إن الله عزيز حكيم**" **(التوبة الآية 71).**

كما أن لها دور كبير في دفع الأذى عن نفسها بالتصدي للمؤامرات التي تحاك باسمها، فتستغل جسدها وتطمس روحها، ولها طريقتها المنهجية في التعامل مع هذه العولمة فلا تذوب فيها، ولا تبقى محايدة ومتفرجة عليها، بل تأخذ منها الإيجابيات إن رأت أن ذلك سيكون مفيدا لها يخدمها ويعود عليها بالنفع وعلى مجتمعها.

الإسلام إذن يرفع عن المرأة كل أشكال الضغوطات والتحرشات ويخفف عنها التكاليف وييسر لها أركان الدين ويمنحها حقوق وحريات في مختلف المجالات الشخصية والعائلية، وحتى نحو المجتمع الأكبر، هذا ما اتفقت عليه معظم المبحوثات اللاتي أكدن أن الحشمة هي الأمن والأمان بالنسبة للمرأة تقول إحدى المبحوثات (24 سنة، ليسانس حقوق) " أصبحنا نعيش في إرهاب من نوع آخر، إرهاب التحرش بالنساء في الشوارع وعلى مرأى الناس، لا أحد يريد التدخل حجتهم في ذلك لو أرادت أن لا يتحرش بها الرجال لسترت نفسها"، في إشارة إلى أن الخروج بهندام جريء يعرض المرأة إلى التحرش بها سواء بمدحها أو بذمها وسبها، الأمر الذي تتأكد معه فكرة أن المرأة ذات كيان لها جسد وروح ولها رسالة، ولها دور في الحياة فهي ليست هامشية، وقد ذكرنا سابقا أن المرأة هي الحياة ومعرفة هذا الدور الإنساني ليس بالتمرد

على الرجل وعلى المجتمع وعلى الشرائع، وإنما بمعرفة كونها "هي الحياة" أي بتوازن روحها وجسدها وفهم حقيقة وجودها.

فهي ليست دمية في أيدي الشركات العالمية وجسدها ليس نمطا من أنماط التجارة الاستهلاكية، فالتمرد على الوهم الذي تحاول العولمة أن تجعله واقعا ومقاومة الاحتياجات الوهمية التي يخلقها الإعلام والإعلان، حيث يقدمون احتياجات وسلعا جديدة كل يوم لا نحتاجها، أمر يحتاج من المرأة المسلمة الوقوف بحزم ضد ما تصنعه العولمة، فالمرأة المسلمة تعيش حياتها وفق التوازن الروحي والجسدي.

لم تعد قضية الزي واللباس تطرح إشكالا فالحجاب الإسلامي لا يعيق تقدم المرأة ولا يعيق تعلمها وتعليمها وممارستها لدورها إن كانت ذات كفاءة تسمح لها بالحصول على مناصب عمل عليا، فعودة المرأة المسلمة إلى حجابها بمعنى عدم تعريض جسدها لعولمة العري، هي عودة إلى ممارسة حياتها الطبيعية الفطرية بكافة أبعادها، وحريتها، فالحرية لا تعني التعدي عل قيم المجتمع، وإنما تعني محاربة كل محاولات الاستبدال للهوية العربية الإسلامية بهويات ممسوخة مشوهة شكلها غربي وجوهرها دس الدسائس لتحطيم هذه الأمة بمساس أحد أهم وأخطر أركانها (المرأة).

فالجسد إذن ارتبط عبر الثقافات بالمعتقد أيا كان هذا المعتقد ونوعه، فهناك ثقافة تمجده وثقافة تعبده وأخرى تحتقره وترى أنه يمثل ملاذا للخطايا والآثام فهو بحاجة إلى عملية تطهير دائمة إلى أن يتم زواله وهناك ثقافة تجعل منه خط دفاعها الأخير.

فعلى مر التاريخ كان الجسد والجنس سلاحا هدم وزعزعة للثقافات وقد أصبحا ثقافة لا تنتمي إلى شعب معين أو وطن معين وكل همهما هو البحث عن الفائدة والربح السريع وتستخدمها العولمة الجديدة المؤمنة بقوتها في تسويق منتوجاتها وأغراضها الدنيئة، ولعل أكثر شيء يثبت خطورة وفظاعة المبادئ التي يتبناها العلمانيون في حق جسد المرأة استخدامهم لها في تسويق المنتوجات التجارية، حيث لو أمعنا النظر في الإعلانات التجارية لوجدنا أغلبها تستخدم المرأة في الإعلانات كأداة للترويج من خلال الإثارة والإغراء، وجذب المشاهدين، فاستخدام المرأة في الإعلانات بصورة مهينة لكرامتها واستخدامها حتى في إعلانات لا صلة لها بالمرأة يؤدي بنا إلى التساؤل: هل هدف العولمة لتحقيق أكبر منفعة لها يبرر استخدام جسد المرأة بطرق تخدش الحياء وتغذي سلوكات جنسية سلبية؟

في هذا السياق لا يمكننا لوم الإسلام بل لوم من يعتقدون به، وأبلغ مثال عن ذلك ما يمكن مشاهدته على قناة أي فضائية تلفزيونية عربية يسيرها عرب مسلمون بالذات هو الأجساد العارية أو الشبه العارية التي تلبس ثيابا شفافة قصيرة تجعلها امام المشاهد أكثر عريا، فالعولمة نجحت لحد ما في اكتساح العقول التي تدعي أنها مثقفة، لكن ما نوع هذه الثقافة؟ ثقافة العري ، ثقافة الحاجة تبرر الوسيلة، فعري الثقافة الذي لم يعد يثير الغرائز أو يخدش الحياء أصبح هو الآخر ظاهرة من تلك الظواهر السلبية التي تعمل على تمزيق كيان الأمة العربية المسلمة.

فالفيديو كليبات أصبحت تمثل ثقافة عارية من كل شيء سوى من جسد جميل فاتن جذاب يميل يمنة ويسرة، حتى الرياضة تم ربطها بعري الجسد وتحركاته وتمايلاته، فأصبحت إحدى مغريات المشاهدة التليفزيونية بعد أن كانت عناءا وتحتاج إلى صبر وتأمل.

ووسائل الإعلام هي الأخرى لم تشذ عن هذه القاعدة، كل الإعلام العربي المقروء والمسموع والمرئي والإلكتروني نجده مشاركا في تقوية عولمة العري، حيث حول المرأة العربية إلى جسد فقط، جسد خال من أي مضمون إنساني حقيقي، جسد بلا روح، جسد لاستهلاك الرجل الذي قام بتشييء المرأة وتسليع جسدها وجمالها والتغيير في خلقته في مرات كثيرة، قصد توظيفه (الجسد) في خدمة رأس المال وأربابه وأباطرة العولمة ومنظريها.

***فكيف نواجه هذا الغزو الثقافي الماجن؟ وكيف نواجه ثقافة عري جسد المرأة؟***

لا شك أن الموضوع هام ومعقد يحتاج إلى تكاثف الجهود من كل المعنيين بشأن المرأة العربية المسلمة، ولا بد وبدون إحراج من تشكيل قوة ضغط على وسائل الإعلام المغرضة لتكف عن استخدام المرأة واللعب على أوتار أعصابها مستغلة بذلك ضعفها ومشاكلها النفسية والاجتماعية، وأيضا لتكف عن تقديمها بهذه الصورة السيئة في المسلسلات والأفلام والبرامج أين يقومون بتصوير المرأة العربية ككائن ضعيف مغلوب على أمره، همها الوحيد هو الإهتمام بجمالها ومكياجها وتسريحة شعرها وموديلات الثياب التي ترتديها والعطور التي تفضلها... بعد ذلك تقوم بالبحث عن عريس يوافق هذه المقاييس، هذا الأمر قد أثر على الفتيات العربيات المراهقات اللواتي يبحثن عن من يقلدنه، فما وجدن غير نماذج تافهة وضعيفة ساعدت على ملأ الشارع العربي المسلم بأجساد شبه عارية، ولولا العرف لخرجن بالملابس الداخلية اتباعا لموضة الانحطاط والسفاهة.

هذه هي وسائل الإعلام التي تعمل على تكريم المرأة في محافل تصرف عليها آلاف الدولارات، وتعمد على إخفاء الجانب الإنساني والحقيقي للمرأة بعدم تركيزها على المرأة الأم والأخت والابنة والزوجة، المرأة العاملة جنبا إلى جنب مع الرجل لبناء مجتمع سليم، المرأة المتعلمة والمثقفة وصاحبة الرأي المستقل، المرأة المقاومة والمنجبة لأبطال وعلماء ومجاهدين وشهداء.

فأين نحن من مقوماتنا العربية الإسلامية التي جعلت الجنة تحت أقدام الأمهات؟ أين نحن من التي جعلها نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ثلاث مرات في المرتبة الأولى ؟ أين نحن من مجتمع ارتبط صلاحه بصلاح المرأة وقوامة سلوكها؟

هنا يأتي دور الجميع في انتشال الأجيال العربية المسلمة القادمة مما يخطط لها على أيدي عباقرة الفلسفة الاقتصادية الاستهلاكية، فللحكومات دور هام يبدأ بإصلاح مناهج التعليم وإدماج المرأة في مختلف المجالات وتعريفها بأن ما يحاك ضدها، هكذا تستطيع الاعتراض عل ما يجري من تشويه مقصود لكينونتها وصورتها.

فتعرية جسد المرأة من وراء هذه العولمة يعني تعريتها من إنسانيتها بمعنى عدم اعتبار إنسانية المرأة كإنسان واختزال جميع مكوناتها وجميع مواهبها في هذا الجانب، ألا يعتبر هذا نوع من أنواع العنف الممارسة على المرأة؟ (انظر مديحة أحمد عبادة، العنف ضد المرأة،2008).

إن استخدام جسد المرأة كمادة ترويج إعلاني له دلالتان الأولى امتهان الكرامة ووأد الإنسانية، والثانية هي الاعتراف غير المباشر أن المخاطب بهذه الإعلانات هو سيد المجتمع الرجل (الذكر)، الذي ينفعل بالجسد الموءود، الذكر الذي يعترف صانعوا الإعلانات أنه هو وحده الذي يمتلك الرغبة والقدرة، متناسيا أن " المرأة قسيم الرجل في الوجود البشري" (سهى نعجة، منازل الجسد الأنثوي في الثقافة العربية، 2014)

فهل المرأة العربية المسلمة ضحية لضغوطات العولمة أم أنها جزء لا يتجزأ من هذه الأخيرة؟ وهل مسؤوليتها تكمن في استغلال جسدها ام كونها ضحية؟ ما دور رجال الدين والواقفين على منبر السلطة في مجتمعاتنا في تخليصنا من هذه الثقافة السلبية؟

في هذا الصدد سنذكر مثال ورد في شبكات الإنترنت حول الممثلة المشهورة (مارلين مونرو)، التي توفيت منتحرة قالت في رسالة كتبتها قبل أن تنتحر " يا نساء العالم احذرن من المخرجين والمنتجين، فإنهم يريدون أن يتاجرن بأجسادكن " وقالت في النهاية " وددت لو كنت أما سعيدة"، فهذه رغم أنها بلغت أوج الشهرة والنجومية والمال، رغم ذلك شعرت بهذا الشعور، فرسالتها جديرة بالتعمق فيها من قبل من يدعون أنهم يهتمون بقضايا وحقوق المرأة.

لكن من وجهة نظرنا فالمرأة ضحية من جهة أخرى بالرغم من أنها المسؤولة الأولى عن استخدام جسدها، فقد صارت تخضع لمعايير عالمية، فمثلا كان احترام المرأة العربية يتمثل في كونها ربة بيت وأم، وفي نظر الإسلام كلما ازدادت المرأة سنا كلما زاد احترامها هذا نظرا لتوصية رسولنا، لكن في عصر العولمة لا يمكن أن تكون المرأة جميلة إلا في فترة زمنية محددة، ولا يمكن لها أن تكون كذلك إلا بمقاييس وضعتها المنظومة المعولمة وأبرزتها في عارضات الأزياء والجمال، مما يجعل المرأة تشعر دائما بوجوب وصولها لهذه النماذج.

فظهرت مجموعة من الأمراض لدى النساء اللواتي يردن تشبيه أنفسهن بالعارضات والفنانات ، منها المرض الذي يسمى **بلانوركسي فاوزما** الذي يؤدي إلى إجبار المرأة نفسها على النحافة بفرض رجيم قاس بعدم تناول الأطعمة، وقد يصل بها الأمر إلى الوفاة، كل هذا نتيجة لتضخيم جانب الجسد في المرأة لا الجانب الإنساني.

**خاتمة:**

مجملا القول أن الإسلام يدعو إلى احترام خلقة الطبيعة وسنن الكون ويدعو إلى الاحتشام والعفة وينفي وجود صراع وجودي في التكوين بين الذكر والأنثى ولأنهما ينتميان إلى النوع البشري، ولكنه يلعن الفجور وتشبه الرجال بالنساء وتشبه النساء بالرجال، ويجعل العلاقة بين الرجل والمرأة علاقة تكاملية تعادلية ،

لاسيما وأنه سكن لها وهي سكن له، ويعطي للمرأة كامل حقوقها بشكل متساو مع الرجل، خاصة الحياة والحرية والملكية والمسؤولية القانونية وإدارة الأعمال، لكن العولمة وما حملته من مآسي أثرت على وضعية المرأة تأثيرا كبيرا وجعلتها تتساوى مع الرجل أو تفوقه في المعاناة ومعايشة أوضاع بائسة على مستوى الأجر والحقوق المدنية مثل الرعاية والسكن والتنقل.

إن الإنسان هو الذي يحدد ماهيته ومصيره وذلك بطرق اختياراته ونوعية أعماله، وأن المرأة هي ما تصنعه بنفسها، فإن أرادت الضرر والدونية تكون سببا للفساد، وإن سعت إلى الصلاح والنماء كانت فردوس الوجود المشرق على الدوام وأم الإنسان معمر الكون.

انطلاقا مما تحصلنا عليه من شواهد توصلنا إلى النتائج التالية:

* أصبح جسد المرأة مرهون بمنصب العمل حسب المثال المتعارف عليه في المجتمع الوهراني "زَوَقْ تبيع" بمعنى "تجميل الشيء حتى يباع" هكذا أصبح جسد المرأة يزين حتى تحصل على ما يريد.
* تأثير الثقافة الغربية في سلوك وتصرفات المرأة العربية المسلمة عبر تسويق ثقافة عولمة التحرر.
* الابتعاد عن تعاليم الدين بمعنى فصل الدين عن المجتمع والعمل بشعار "دعه يمر إنه حر".

**المراجع:**


-سورة التوبة، الآية 71

-سامية حسن الساعاتي،(2007)،***المرأة والمجتمع المعاصر***، دار قباء الحديثة للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة

- سهى نعجة،(2014) ، ***منازل الجسد الأنثوي في الثقافة العربية مقاربة سوسيولغوية***، مجلة إضافات، العدد 26-27 .

- كريستا فيستريش، (2002)، ***المرأة والعولمة***" ، ترجمة سالمة صالح، منشورات الجمل، كولونيا، بيروت

- فريد الزاهي (1999)، ***الجسد والصورة والمقدس في الإسلام***، أفريقيا الشرق، المغرب

- مايك فيزرستون،(1999)، ***محدثات العولمة***، ترجمة عبد الوهاب علوي، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، وروناالد روبرتسون ،(1998)، ***العولمة: النظرية الاجتماعية والثقافية الكونية*** ، ترجمة أحمد محمود نور الدين، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة.

-محمد الغزالي، ***قضايا المرأة بين التقاليد الراكدة والوافدة*** ، دار الشروق، مصر

-مديحة أحمد عبادة، خالد كاظم أبو دوح،(2008)، ***العنف ضد المرأة : دراسات ميدانية حول العنف الجسدي والعنف الجنسي***، دار الفجر للنشر والتوزيع، القاهرة،

- مروة شاكر الشربيني،(2005)، ***العنف الجسدي ضد المرأة ومكانتها في المجتمع تحت أضواء السيرة النبوية***، دار الكتاب الحديث، القاهرة